قرآنيكا، مجلة عالمية لبحوث القرآن
عدد خاص (4)، فبراير، شباط 2020م. ص 126-95

© 2020 مركز بحوث القرآن
جامعة ملايا، ماليزيا

هدايات من (جزء عمَّ) وأثرها في نهضة الأمَّة

أ.د. أحمد خالد شكري

(Quranic Guidance of En-Naba' Chapter and Its Influence on the Development and Prosperty of Muslim Nation)

Prof. Dr Ahmad Khalid Shukri

ABSTRACT

The Holy Qur'an is the greatest ever guidance that encourages and teaches all good things and hence it is worthy studying, investigating and understanding in order for humans to get the necessary guidance. Although Muslim scholars have tremendously done a great job explaining the guidance of the Qur'an, there is still a room for researchers to conduct studies. This study investigates some of the guidance mentioned in an-Nabaʾ Chapter/part and its significant effects in developing the Muslim Nation. This part of the Qur'an is chosen due to people's overwhelming use of *it* that *it* talks about very interestingly touching things conveyed by unique rhythm. This part of the Qur'an also concludes the core things concerning Islamic theology, morals and principles and fundamentals of preaching. This part of the Qur'an is very essential to lead the Muslim Nation to development, prosperity, happiness and guidance.

Keywords: *Guidance, The Holy Qur'an, An-Nabaʾ Chapter/Part, Muslim Nation (Ummah) And Revival*

ملخص

القرآن الكريم هو كتاب الهداية العظمى ففيه الدلالة على كل خير، وهو بحاجة إلى إعمال الفكر والعقل للوصول إلى الهدايات المتوافرة فيه، واجتهد علماؤنا السابقون في استخراج هداياته وما زال البحث في هذا الجانب مفتوحا للمقبلين والراغبين. وفي هذا البحث استخراج لمجموعة من هدايات سورٍ في جزءِ عمَّ، مع بيان أثرها في نهضة هذه الأمة، ويأتي اختيار هذا الجزء لكثرة تلاوة آياته وسوره من عامّة الناس، ولما تمتاز به آياته من قوة الجرس والعبارات المؤثرة، ولاحتوائه على خلاصة ما في القرآن من حقائق العقيدة ومكارم الأخلاق وأصول الدعوة، فهو جزء رفعة الأمة والارتقاء بالهمة وإزالة الغمة والوصول إلى المبتغى من الهداية وسعادة الدارين.

كلمات دالَّة: الهدايات، القرآن الكريم، جزء عمّ، الأمة، النهضة.

1. مقدمة

إن البحث في كتاب الله تعالى من أجلّ الأعمال وأرفعها قدراً وأعظمها نفعاً، ولتخصيص البحث في الهدايات أهمية أخص وأرقى، لما في الهدايات من نفع عام وتوجيه إلى الارتقاء والوحدة وإحسان العمل وإتقانه، وغير ذلك من جوانب النفع والخير.

وقد ورد ذكر الهداية في الآيات الكريمة في مواضع كثيرة، ففي سورة الفاتحة الدعاء بالحصول على الهداية إلى الصراط المستقيم، وفي الآيات الأولى من سورة البقرة، حديث عن هداية القرآن، وفي هذا دلالة واضحة وإشارة قوية على المهمة الأساسية لإنزال هذا الكلام المعجز، وتكرر بعد ذلك الحديث عن الهدايات في آيات كثيرة، ومن المهم للمفسر أن يقف مع هذه الهدايات مستنبطاً لها، موضّحاً لدورها الكبير في زيادة الإيمان وتحسين العمل والإقبال عليه برغبة وصدق، وتقوية الداعية في أداء رسالته المباركة على أحسن وجه، وإقامة العلاقات بين أفراد المجتمع بالحسنى والإيجابية.

ولذا كان الاعتناء بالهدايات من المفسرين وغيرهم من أهل العلم قديماً وحديثاً من أولى الأولويات، وأهمّ الواجبات، وقد تعددت جوانب هذا الاعتناء، ومنها: كثرة البحث والتأليف فيه، وتأسيس كرسي الهدايات في جامعة أم القرى، ومشروع التفسير بالهدايات،

وعقد هذا المؤتمر المخصص للبحث في الهدايات القرآنية، وجمع جهود الباحثين مع التقائهم في رحاب جامعة ملايا للتنسيق وتبادل الخبرات والأفكار، والنهوض بها بغية الوصول ما أمكن إلى الكمال في هذا الجانب.

وقد رأيت تخصيص بحثي المقدم لهذا المؤتمر في استنباط مجموعة من الهدايات من سور جزء عمَّ، هذا الجزء المميز بكثرة وقصر سوره، وأسلوبها الخاص في قوة الجرس والعبارات المجلجلة والمؤثرة في أعتى القلوب وأقساها، وقد شاءت إرادة الله تعالى أن يجعل السور القصار مجتمعة في آخر القرآن الكريم لحكم عديدة، منها الإقبال على تعلمه من المبتدئين والصغار بشغف ورغبة لما يرونه من سهولة حفظ وتعلم السور القصار، وتوجيه انتباههم إلى عظمة منزل القرآن حيث معظم موضوعات سور هذا الجزء في التوحيد والإيمان والجزاء بشقيه: الثواب والعقاب، كما يشكل هذا الجزء خلاصة ما في القرآن الكريم من توجيهات وموضوعات، ولذا صح لنا أن نقول: إن جزء عمَّ هو جزء النهوض بالأمّة، ورفع الهمّة، وإزالة الغُمّة، ومن هنا كثرت المؤلفات التي خصت هذا الجزء بالتفسير، ومنها كتاب اشتركت بتأليفه مع الزميل الأستاذ الدكتور أحمد فريد أبو هزيم، وهو مقرر على طلبة كلية الشريعة في مادة التفسير، وقد أخذت منه بعض الأفكار لهذا البحث، وعددٌ من المعلومات التي لم أوثقها مأخوذة منه أو مما ظهر لي بالتأمل والتدبر في الآيات الكريمة، وكانت طريقتي في نقل المعلومات من المراجع بالمعنى دون التزام بالنقل الحرفي عن أي منها.

وقد رأيت تقسيم البحث إلى خمسة مباحث، يبحث كلٌّ منها في هدايات مستنبطة من إحدى سور جزء عم، وهي سور: عبس، والانشقاق، والعلق، والكوثر، والمسد، وكان اختيار هذه السور لأسباب منها: التنويع بين أول الجزء ووسطه وآخره، ومنها أن بعض الناس يظن عدم استحباب تلاوة سورة عبس والمسد أو الإكثار منه، لظنه أن ما في الأولى منهما من عتاب النبي صلى الله عليه وسلم وما في ثانيهما من وعيد عمه أبي لهب لا يليق بمقام النبوة كثرة ترديدهما وتلاوتهما، وهذا ظن باطل، وغلط كبير، وخطأ فاحش، فإن الآيات والسور كلها كلام الله، وبلغها رسوله صلى الله عليه وسلم بلا تردد ولا تأخر، وينبغي التعامل مع هاتين السورتين كغيرهما من السور الكريمة.

واقتصرت في البحث على خمس سور مراعاة لطبيعة البحوث المقدمة في المؤتمرات، والتزاما بالتعليمات التي تنص على عدد محدد من الصفحات، ولم أبحث في الجانب النظري والتأصيلي للهدايات حيث خُصص لها محور في المؤتمر، والتزمت الإيجاز والاختصار والمباشرة في ذكر المعلومة، راجيا أن يكون البحث وفق المأمول، وأن يسد ثغرة في هذا الجانب، وبالله التوفيق وهو المستعان.

2. من هدايات سورة عبس

وتسمى سورة الصاخة، وسورة السفرة، وهي من السور المكية، وفيها كثير من الهدايات، منها:

1- بدء السورة بآيات فيها عتاب رقيق للنبي صلى الله عليه وسلم يتناسب مع مقامه الشريف، وغايته النبيلة مما فعل، وهنا درس بالغ الأهمية وهداية ينبغي الاعتناء بها، إذا حصل عتاب لمجتهد صادق في نيته يهدف بما فعل إلى الخير، يكون عتابه رقيقا لينا يلفت انتباهه ولا يكسر خاطره.

ومظاهر الرقة في هذا العتاب من عدة جوانب، أولها: استخدام الفعل الماضي في التعبير عن ما حصل، فكأنه شيء حصل وانتهى، وثانيها: استخدام ضمير الغيبة في هذا الفعل، لئلا يواجَه النبي الكريم بلفظ العتاب، فكأنه غائب غير حاضر، وفي هذا الأسلوب من الترفق واللين ما فيه، وثالثها: استخدام الفعل المضارع في توجيه النبي صلى الله عليه وسلم إلى ما ينبغي فعله، بما يدل على تجدده، فكأن ما يستحق العتاب شيء مضى وانقضى، والتوجيه باق مستمر دائم، ورابعها: استخدام كاف الخطاب في فعل التوجيه (يدريك) [عبس: 3] بعد الغيبة في فعل العتاب، فعند التوجيه حصل إقبال ومؤانسة بعد الإعراض في العتاب تكريما ورفعا لشأن المعاتَب. وخامسها: بيان عذر النبي صلى الله عليه وسلم في ما فعل وهو الحرص على هداية من كان يكلمهم، وإن كانوا معرضين عنه ولكنه صلى الله عليه وسلم

لحرصه على هدايتهم كان يحتمل ما يصدر عنهم من إيذاء معنوي وحسي، رجاء اهتدائهم وإيمانهم[1].

2- بيان عذر الأعمى فيما فعل؛ فهو لا يرى ما حوله ولم يكن يعلم الموقفَ المقبلَ عليه، وقد كان يظن أن النبي صلى الله عليه وسلم في حال يمكن أن يجيبه لما يريد.

3- التماس العذر لمن يقع في فعل غير مناسب، وإعذاره فيه وعدم تعنيفه عليه أو القسوة في مخاطبته.

4- أن تعريف المرء بما فيه من عاهة أو نقص أو مرض مزمن أو إعاقة لا ينقص من قدره وقيمته ولا يعدّ غيبة له فالله سبحانه عرّف هذا الشخص بصفته البارزة وهي (الأعمى) [عبس: 2] وأدى هذا اللفظ دورا آخر زائدا عن التعريف وهو بيان عذره فيما فعل، وللإشعار بما يناسب التعامل معه من رفق ولين.

5- الاعتناء بذوي الأعذار في المجتمع وإكرامهم والإحسان إليهم، فهم أشخاص مبتَلَوْن بنواقص أو إعاقات حركية أو عقلية أو بصرية أو سمعية أو غيرها، وفي الآيات الكريمة ورواية سبب النزول[2] ما يؤكد وجوب التعامل مع هذه الفئة من المجتمع بشكل لائق بعيد عن الإيذاء والامتهان، فيه رفع لشأنهم ومعنوياتهم وإشعارهم بمكانتهم في المجتمع والحاجة إليهم، وكم من شخص من أصحاب الإعاقات حاز منزلة علمية ومجتمعية وحقق إنجازات تفوّق فيها

1 القرطبي، محمد بن أحمد، (1964م) الجامع لأحكام القرآن، القاهرة، دار الكتب المصرية، الطبعة الأولى، مج 19، ص 213.

2 الواحدي، علي بن أحمد، (1992م)، أسباب النزول، الدمّام، دار الإصلاح، الطبعة الثانية، ص 438.

على كثير من الأصحّاء، وقد كان لهدايات الآيات والسير على وفق ما تأمر به قصب السبق للمجتمع المسلم في الاعتناء بهذه الفئة وإعطائها حقها المناسب.[3]

6- عدم بيان اسم المتحدث عنه في مثل هذا المقام، فليس المقصد تحديد شخصيته إنما هو أخذ العبرة والهداية من الحادثة.

7- عدم اتخاذ موقف سلبي ممن كان سببا في عتاب أو توجيه، فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الحادثة يُكرم من كان سببا في عتابه ويحسن إليه، ويقول له: "مرحبا بمن عاتبني فيه ربي"، ويبسط له رداءَه، واستخلفه على المدينة أكثر من مرة، وهو عبد الله بن أم مكتوم، واسمها عاتكة بنت عبد الله المخزومية، وهو ابن خالة خديجة رضي الله عنها، وكانت وفاته شهيدا يوم فتح المدائن.[4]

8- الحرص على العلم وطلبه والسعيُ في تحصيله والسؤال عنه، والترغيبُ في الاستجابة لمن كان هذا حاله والاعتناء به وتقديمُه على غيره مكافأة له على هذا الحرص والاعتناء.

9- مراعاة الأولويات، ومن هذه الأولويات أن المقبل إليك المستجيب للدعوة أولى بالاعتناء من المدبر المستغني المتكبر عن الدعوة، وقد يقال إن هذا المستجيب أصبح في عداد المسلمين فلا داعي للاعتناء به ويجب توجيه الاعتناء إلى غيره ممن يُطمع في إيمانهم واستجابتهم، والجواب عن هذا التساؤل أن المستجيب يبقى بحاجة إلى رعاية واهتمام لئلا

---

3 كتب منصور الخطيب دراسة بعنوان: "رعاية الفئات الخاصة وإسهاماتها في القرن الأول الهجري" ونال بها درجة الماجستير من قسم التاريخ في جامعة الشارقة، عام 2008. وأجاد في معالجة الموضوع وعرض الأمثلة وجوانب الاعتناء.

4 ابن حجر، أحمد بن علي (1992)، الإصابة في تمييز الصحابة، بيروت، دار الجيل، الطبعة الأولى، مج 4، ص 495، وابن جزي، محمد بن أحمد، (1996) التسهيل لعلوم التنزيل، بيروت، دار الأرقم، الطبعة الأولى، مج 2، ص 452.

يتأثر سلبا أو يبتعد وينقلب على عقبيه، فالمحافظة عليه وعلى الإنجاز الحاصل بدخوله في الدين أولى من البحث عن إنجاز جديد قابل للنجاح والفشل.

10- ختم التوجيه والتنبيه بما يؤكده ويقويه ويبقي أثره في النفس طويلا، وهذه الهداية مستنبطة من قوله تعالى (كلّا) في الآية الحادية عشرة وعلى القول بأنها للردع والزجر، فتكون لما قبلها، وتكون هي خاتمة الحديث عن تلك الحادثة بما يؤكد النهي بكلمة قوية عن فعل مثل هذا الأمر في ما بعد، وهو أسلوب تربوي له تأثيره البالغ في نفس كل من فاعل الأمر وسامع الكلام[5].

وعلى القول الآخر أن (كلّا) للاستفتاح تكون تابعة في المعنى والإعراب لما بعدها، وهو الحديث عن الآيات الكريمة ومهمتها وحفظ الله تعالى لها، وهي الهداية التالية:

11- توجيه المؤمنين إلى التعامل مع آيات الكتاب الكريم وهو كلام الله تعالى بما يليق به من احترام وتعظيم وتبجيل ومكانة عظمى، فالآيات محفوظة في صحف مكرمة، وهي صحف ذات منزلة عالية، ومطهرة من أن يدنسها شيء، وهي كائنة بأيدي ملائكة ينسخونها ويكتبونها بأمر الله، ومن صفات هؤلاء الملائكة أنهم مكرمون ومعظمون عند الله، وأنهم طائعون لربهم خاضعون لأمره خاشعون في عبادتهم[6]. وهو توجيه غير مباشر لنا أن نراعي مكانة وحرمة كلام الله وأن نتشبه بالملائكة الكرام في صفاتهم الحميدة المذكورة في الآيات، فنتعامل مع كلام الله تعالى بما يليق بمختلف صور التعامل، فالتلاوة تكون على طهارة تامة ما أمكن، وفي مكان مناسب لائق، وفي وقت بعيد عن الشواغل والصوارف، ونتعامل مع المصحف بالتعظيم التام في جميع الجوانب، ويكون الإقبال على الحفظ والتدبر والتفسير مع التوقير،

5 الزمخشري، محمود بن عمر (1987) الكشاف عن حقائق التأويل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل، بيروت، دار الكتاب العربي، الطبعة الثانية، مج 4، ص 702.

6 أبو هزيم، أحمد فريد، وشكري، أحمد، (2018م) تفسير سورة الفاتحة وجزء عم، عمّان، جمعية المحافظة على القرآن الكريم، الطبعة الأولى، ص 65.

ونحتكم في أمور حياتنا إلى ما فيه من تشريعات وأحكام ربانية، ولا نعرض عنه ولا ننسى ما حفظنا منه، ولا نترك العمل به[7].

وقد ورد في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة ..."[8]، ويُلحظ ما في ألفاظ هذا الحديث من تشابه مع ألفاظ الآيات الكريمة، وما فيه من وعد لمن تعلم القرآن ومهر فيه وأتقنه وبرع في تلاوته وحفظه وتفسيره واستنباط هداياته أن يكون مرافقا لهؤلاء الملائكة الكرام الموصفون بصفات في غاية الحسن والجمال.

12- معرفة حقيقة الحياة الدنيا وأنها مرحلة قصيرة جدا سرعان ما تنتهي مهما طال عمر الإنسان وظن أن حياته طويلة، وتختصر الآيات مراحل الحياة بكلمات موجزة وعبارات قليلة، حيث تبدأ بالنطفة التي هي في غاية القلة والحقارة، حين تلتحم مع بويضةٍ مثلِها في القلة والحقارة، وسرعان ما يتيسر سبيل الولادة لهذا المخلوق الذي ينقله الموت إلى القبر، ومنه إلى النشور في الوقت الذي يقدره الله تعالى، وهذا بناء على تفسير (ثم السبيل يسّره) [عبس: 20] بالولادة وهو قول جماعة من المفسرين[9]، وفي هذا توجيه غير مباشر للمؤمنين أن يعرفوا قيمة الدنيا وحقيقتها ومنزلتها، وأن لا يتعلقوا بها ويقدموها على الآخرة التي هي دار الجزاء والخلود، وأن تكون الدنيا مكانا للأعمال الصالحة ووسيلة لنيل رضى الله سبحانه، ومكانا للهداية والعمل بما أمر به الخالق منزل هذا الكلام الهادي.

13- وجوب شكر نعم الله تعالى علينا، بدءاً من نعمة الخلق ومرورا بنعم ما سخره لنا من منافع ومآكل في هذه الدنيا، حيث صب الماء من السماء وشق الأرض لتخرج أصناف

---

7 شكري، أحمد (2015م)، آداب أهل القرآن مع القرآن وأهله، عمّان، جمعية المحافظة على القرآن الكريم، الطبعة الرابعة، مواضع عديدة منه ففيه تفصيل كثير من الآداب في التعامل مع كلام الله تعالى.

8 مسلم بن الحجاج، (بلا تاريخ نشر) الجامع الصحيح، بيروت، دار الجيل، الطبعة الأولى، مج 2، ص 195، رقم الحديث: 1898.

9 الماوردي، علي بن محمد (بلا تاريخ نشر) النكت والعيون، بيروت، دار الكتب العلمية، مج 6، ص 206، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مج 19، ص 218، والشوكاني، محمد بن علي (1994) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، دمشق، دار ابن كثير، الطبعة الثانية، مج 5، ص 465.

الزرع المختلفة ما بين الحب الذي يقتات به، والأشجار التي تحمل أصناف الطعام، وتسر الناظرين بهيئتها ولونها وتكوينها البساتين متداخلة الأغصان، والفاكهة المتنوعة في الشكل والطعم والفائدة، وأصناف تأكلها الدواب وترعى منها، ثم تكون هذه البهائم طعاما للإنسان أو مصدر بعض أصناف طعامه كاللبن، أو مركبا له، أو حاملا لأمتعته أو مصدر رزق له، كل هذا ليتمتع الإنسان ويتفرغ لعبادة الله وشكره على نعمه، فالعاقل من آمن بالله واتبع أوامره وجعل رحلة الحياة سبيلا للنجاة في الآخرة.

14- الرحمة بالحيوان وإحسان معاملته، نأخذ هذا من رحمة الله خالقها بها، فجعل من أصناف النبات والزرع ما تتغذى عليه الأنعام وتجده في المراعي حولها سهل المأخذ يسير الوصول إليه، وهي الدواب العجماوات التي لا تكاد تملك حيلة وسبيلا، ففي إعلامنا بهذه الرحمة من الله بالأنعام توجيه لنا نكون محسنين في التعامل معها فلا نمنعها ما خلق الله لها من أطعمة ونباتات، ولا نحرمها من نعمة الانتقال والتحرك بين الأماكن طلبا لما يقيم حياتها، ولا نؤذيها بأشكال الإيذاء الكثيرة التي أوجدها البشر، وفي كثير من الأحاديث النبوية الشريفة ما يؤكد هذه الهداية ويبين كيف يكون تعامل المسلم مع ما حوله من بهائم لا تعقل[10]، وفي هذا تأكيد لشمول هذا الدين العظيم.

15- أن الإنسان الكافر الجاحد لنعم الله لا يستحق الإكرام ولا الاحترام، ويستحق التبشير بسوء المآل والمصير في الآخرة، ففي قوله تعالى (قُتل الإنسان ما أكفره) [عبس: 17] تبيين لما يستحقه الكافر من تبشير بالويل والثبور، بسبب كفره وتعديه على أمر الله له بالتوحيد والاهتداء.

10 يُنظر مثلا: أبو داود، سليمان بن الأشعث (2009م) السنن، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، مج 2، ص 61، رقم الحديث: 2675، وأحمد بن حنبل، (2001م) المسند، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، مج 13، ص 87، رقم الحديث 7648.

16- التعرف على حال الإنسان بما يظهر على وجهه من علامات السرور والفرح، أو الكآبة والحزن، ومعرفة حال المرء يعين على تحديد كيفية مخاطبته والتعامل معه حسب حاله مراعاة لنفسيته، وأملا في التأثير فيه.

17- بيان الميزان الذي أنزله الله تعالى للناس مع الرسل لكي يبنوا عليه حياتهم، وهو (إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم) [الحجرات: 13] فالإسلام جعل أساس التفاضل بين الناس الإيمان والتقوى.

18- إثبات أن القرآن كلام الله وليس من عند النبي صلى الله عليه وسلم، إذ لا يُعاتب المرء نفسه أمام أتباعه.

19- قيام النبي صلى الله عليه وسلم بتبليغ كل ما أوحي إليه بأمانة تامة، وقد ورد عن السيدة عائشة رضي الله عنها: "لو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كاتما شيئا من القرآن لكتم هذه السورة"[11]، وذلك لما فيها من عتاب له صلى الله عليه وسلم.

20- الانشغال بالمفضول عن الفاضل مما يستدعي العتاب والتوجيه[12].

3. من هدايات سورة الانشقاق

وتسمى سورة الشفق، وهي مكية، وفيها كثير من الهدايات، منها:

1- الاستجابة لأمر الله في المنشط والمكره وفي كل حال وفي كل وقت، فالسماء والأرض تستجيبان لأمره وليسا أحق من المؤمن بهذا، وفي إخبارنا بأن كُلّاً من السماء والأرض

11 ابن عطية، عبد الحق بن غالب (2001) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، مج 5، ص 436.

12 أبو هزيم وشكري، تفسير سورة الفاتحة وجزء عمّ، ص 71 و72، ومنه تم اقتباس النقاط الأربعة الأخيرة.

(وأذنت لربها وحقّت) [الانشقاق: 2] تهييج وحث غير مباشر على الاستجابة لأمر الله وطاعته التامة في كل ما أمر، فلا يكون الجماد أولى بالطاعة من المؤمن.

2- الحث على التفكر والتدبر في الآيات، حيث حُذف جواب الشرط لتذهب النفوس في تقديره كل مذهب، ويُعمل قارئو القرآن والمتدبرون عقولهم في تقديره.

3- استشعار قيمة الإنسان وأهميته بين المخلوقات، حيث يوجه إليه الخطاب بصيغة المفرد (يا أيّها الإنسان) [الانشقاق: 6] وفي هذا رفع لمنزلته وتبيين لقيمته، فعليه أن يقدر هذا الأمر قدره، ويستشعر موقعه المتميز بين سائر المخلوقات.

4- تبيين حقيقة الدنيا وأن الحياة كدح ونصب ومعاناة وكبد[13].

5- حث المؤمن على الالتزام بأمر الله ليكون ممن يؤتى كتابه بيمينه.

6- من طبع الإنسان أنه إذا فرح لأمر يسره سارع إلى إظهار فرحه وإخبار غيره، وصعب عليه كتمانه.

7- تبشير المؤمنين بما سيلاقونه في آخرتهم من جزاء حسن على أعمالهم، فالحساب يسير والسرور سمتهم وحالهم.

8- الجمع بين الآيات وما يوضحها من الأحاديث، ومن استشكل شيئا في معنى الآيات عليه أن يرجع إلى أهل العلم ليسأل وليزول ما يحصل عنده من إشكال، فقد استشكلت أمنا عائشة رضي الله عنها حساب المؤمنين في الآخرة مع قوله صلى الله عليه وسلم: "ليس أحد يحاسب إلا هلك" فقالت: "يا رسول الله جعلني الله فداك، أليس الله

13 قطب، سيد (1972م) في ظلال القرآن، دار الشروق، الطبعة الأولى، مج 6، ص 3866، ونوفل، أحمد، ومشاركوه (2006م) التفسير المنهجي، عمّان، دار المنهل، الطبعة الأولى، مج 20، ص 95.

يقول: (فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا) [الانشقاق: 7- 8]، قال: "ذلك العرض، يعرضون، ومن نوقش الحساب هلك"[14].

9- الاجتهاد في إزالة موهم الاختلاف بالجمع بين الآيات، فمجموع الآيات في الموضوع الواحد يُكمل صورة الخبر أو الموضوع، ففي آيات عديدة النص على أن الكافر يؤتى كتابه بشماله كما في سورة الحاقة [25] وفي هذه السورة ورد أنه يؤتى كتابه وراء ظهره، والجمع بين الآيات أن يقال: منهم من يؤتى كتابه بشماله، ومنهم من يؤتى كتابه وراء ظهره، وقيل بالجمع فيؤتى أحدهم كتابه بشماله وهي وراء ظهره، مبالغة في الإذلال والإهانة[15].

10- من رحمة الله بعباده إطلاعهم على شيء من أمر الغيب والآخرة ليستعدوا ويحذروا، فقد بينت الآيات أن من كفر بربه سيلقى من صنوف العذاب أمورا: أن يؤتى كتابه وراء ظهره، وأن حالته النفسية ستكون في الحضيض يدعو على نفسه بالهلاك وأنه سيصلى السعير.

11- التوجيه غير المباشر للمؤمن أن لا يدعو على نفسه، فهذا من أعمال الكافرين.

12- التنفير من الكفر والضلال بصورة بليغة، حيث أخبر سبحانه أن من سيؤتى كتابه وراء ظهره سيدعو على نفسه بالهلاك والبوار ويدعو الموت أن يقبل عليه لينقذه مما هو فيه من عذاب وألم، وقد استحضر هذه الصورة المتنبي فقال[16]:

---

14 البخاري، محمد بن إسماعيل، (2001) الجامع الصحيح، بيروت، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، مج 1، ص 51، رقم الحديث: 103، ومسلم، الجامع الصحيح، مج 8، ص 164، رقم الحديث: 7406.

15 البغوي، الحسين بن مسعود (بلا تاريخ نشر) معالم التنزيل، الرياض، دار طيبة، الطبعة الأولى، مج 8، ص 374، وابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي (1404هـ) زاد المسير في علم التفسير، المكتب الإسلامي، الطبعة الرابعة، مج 6، ص 138.

16 المتنبي، أبو الطيب أحمد بن الحسين (1983م) ديوان المتنبي، بيروت، دار بيروت، الطبعة الأولى، مج 1، ص 145.

كفى بك داءً أن ترى الموت شافيا *** وحسب المنايا أن يكنَّ أمانيا

13- وجوب مراقبة الله تعالى والعلم بأنه سبحانه مطلع على كل شيء وبصير بأحوال عباده وخلقه كلهم.

14- وضوح الأمر يستدعي عدم حاجته للقسم، وقد يكون نفي القسم أبلغ من القسم في مواقف[17].

15- التأمل في آيات الله في الكون مدعاة للإيمان من فاقده ولزيادته من المؤمن، وفي هذه السورة من لفت النظر إلى آيات الله في الكون قوله: (فلا أقسم بالشفق والليل وما وسق والقمر إذا اتسق) [الانشقاق: 16- 18]، وهي ثلاث صور رائعة تثير في نفس المتأمل فيها روعة هذا الخلق الدال على الخالق العظيم، وترسم لوحة متكاملة لمراحل حصول الليل ولوجود القمر فيه ومراحله وتحولاته خلال الشهر.

16- تعدد القراءات فيه إثراء للمعنى وتعميق له، فالقراءة بضم الباء في (لتركبُنَّ) [الانشقاق: 19] على مخاطبة الجمع، والقراءة بفتح الباء على مخاطبة المفرد، والمراد به الجنس، أو هو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم.

17- تعدد المعاني للفظ الواحد فيه توسيع للمعنى ودلالة على بلاغة الكلام، وقد ذكر المفسرون في قوله تعالى: (لتركبنّ طبقا عن طبق) عدة أقوال، خلاصتها:

أ- لتلاقُنّ أيها الناس أحوالا بعد أحوال ومراتب في الشدة، هي الموت وما بعده من بعث وحساب وجزاء.

17 حجازي، محمد محمود (1993) التفسير الواضح، بيروت، دار الجيل الجديد، الطبعة العاشرة، مج 3، ص 845، وذلك بناء على أن لا نافية للقسم، وهو أحد الأقوال عند المفسرين.

ب- هي تقلب الصروف والأحوال وتغير الظروف للناس، كما قال مكحول: "كل عشرين عاما تجدون أمرا لم تكونوا عليه".

ج- مراحل الحياة من ولادة وطفولة وشباب وما بعده إلى الشيخوخة والهرم.

وهذه الأقوال الثلاثة تصح على قراءة ضم الباء، كما تصح على القراءة بفتحها بأن يكون المخاطب جنس الإنسان.

د- ملاقاة أحوال القُرَب من الله تعالى والارتقاء في طاعته وعبادته.

هـ- ملاقاة الأهوال والشدائد والابتلاءات المتتابعة.

و- الصعود في السماء واحدو إثر أخرى، وذلك في رحلة المعراج.

وهذه الأقوال الثلاثة على قراءة فتح الباء والمخاطب بها رسول الله صلى الله عليه وسلم[18].

18- التأثر بتلاوة الآيات أو استماعها يقود إلى السجود، وهو من علامات الإيمان لأن الكافرين امتنعوا عن السجود، وأعرضوا عنه.

19- اقتران العمل الصالح بالإيمان للدلالة على أهميته وملازمته له.

20- استعمال الفعل المضارع للدلالة على التجدد (يكذّبون) [الانشقاق: 22] بما يدل على استمرار حصول الكذب من الكافرين مع امتداد الأزمان، وهي صفة لازمة لهم ثابتة فيهم، وفي هذه الهداية تنفير للمؤمنين من الاتصاف بهذه الصفة ومن فعل هذه الخصلة الذميمة وهي الكذب.

---

18 أبو حيان، محمد بن يوسف (1999) البحر المحيط في التفسير، بيروت، دار الفكر، الطبعة الأولى، مج 8، ص 440، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مج 19، ص 279

21- جواز التهكم بأهل الشر والضلال بهدف ردعهم عما هم فيه، فإن التعبير بالبشارة – المستخدم غالبا في الخير – للعذاب تهكم وحطٌّ من قدر المتحدث عنه.

22- عطاء الكريم دائم كثير غير ممنون ولا منقطع.

4. من هدايات سورة العلق

وتسمى سورة اقرأ، والآيات الخمس الأولى منها أول ما نزل مطلقا كما ثبت في الصحيحين وغيرهما[19]، وباقي السورة نزل بعد ذلك بنحو ثلاث سنين كما يدل عليه موضوعها، ومن أبرز ما فيها من هدايات:

1- أن يكون أول ما نزل من كتاب الله تعالى مطلقا: (اقرأ) [العلق: 1]، وهو فعل أمر موجه إلى المفرد، يدل على عظمة المتكلم فهو الذي يأمر عباده بما شاء، وتوجيه الأمر إلى المفرد ليستشعر كل قارئ وسامع لهذا الأمر أنه المراد به والمخاطب بمحتواه فيستقيم ويفعل[20].

2- القراءة مفتاح لخير كثير، وكان الأمر بها لما تتضمنه من تعلم وعلم يحصل بسببها، وهي أحد أوسع الأبواب للعلم.

3- تقييد القراءة أن تكون (باسم ربك) [العلق: 1] توجيه للبحث عما ينفع من القراءة أكثر، وما يقرب إلى الله، ويتقيد بأمره وحكمه.

19 البخاري، الجامع الصحيح، مج 1، ص 3، رقم الحديث: 3، ومسلم، الجامع الصحيح، مج 1، ص 97، رقم الحديث: 422.

20 ابن عاشور، محمد الطاهر (1984م) التحرير والتنوير، تونس، الدار التونسية للنشر، مج 30، ص 563.

4-إضافة الاسم إلى الرب يدل على الرأفة والرحمة والتربية للخلق، وأن يكون اسم الرب هو أول أسماء الله تعالى نزولا فيه إشارة إلى أنّ العلاقة بين الخالق وخلقه قائمة على رعايته سبحانه لشؤونهم وحفظه لهم، وتقديمه لجانب اللطف على غيره[21].

5- وصف الرب بأنه (الذي خلق) [العلق: 1] فيه تعليل للأمر، فالخالق هو من يأمر وينهى ويحكم في أمور عباده، وهو توجيه غير مباشر للقارئ والسامع أن يستجيب لخالقه ويأتمر بأمره.

6- حذف مفعول (خلق) إما لقصد العموم فهو سبحانه خالق كل شيء، ويأتي بعد ذلك تخصيص بذكر أحد هذه الأنواع المخلوقة وهو الإنسان، وإما للتشويق والترقب لما سيُذكر بعد ذلك من تفصيل[22].

7- تخصيص الإنسان بالنص على خلقه (خلق الإنسان) [العلق: 2] فيه تشريف له ورفع لدرجته بين سائر الخلق، وهو مدعاة له أن ينتبه لمقامه ومنزلته في هذا الكون، والمراد به جنس الإنسان لا واحدا بعينه[23].

8- الاقتصار على ذكر مرحلة واحدة من مراحل تكون الجنين (من علق) [العلق: 2] للاختصار والإيجاز اللائق بالبداية، ويأتي التفصيل لاحقا في آيات آخر.

9- الاكتفاءُ بذكر مرحلة العلق في الخلق دون غيرها من المراحل، للتنبيه إلى ما في الإنسان من صفة التعلق بأشياء كثيرة مما حوله، وهو دليل قوي على أن المتكلم بهذا الكلام

---

21 النيسابوري، الحسن بن محمد، (1995) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، تحقيق: زكريا عميرات، بيروت، دار الكتب العلمية، مج 6، ص 529.

22 السمين الحلبي، أحمد بن يوسف (1988م) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق: أحمد محمد الخراط، دمشق، دار القلم، الطبعة الأولى، مج 11، ص 56.

23 طنطاوي، محمد سيد (1997م) التفسير الوسيط، القاهرة، دار نهضة مصر، الطبعة الأولى، مج 15، ص 454.

هو الخالق، وفيه توجيه غير مباشر للإنسان أن يتعلق بما ينفعه ويبتعد عما يضره من أشياء يتعلق بها قلبه وعقله وهواه ونفسه.

10- إعادة الأمر بالقراءة تأكيد لها وتثبيت لأهمية هذا الفعل، وتبيين حاجة المعلومات إلى التكرار والإعادة حتى ترسخ وتستقرّ.

11- ذِكر القلم في هذا السياق لأنه أداة الكتابة لما يُقرأ، فلا قراءة إلا بعد كتابة، كما أن ذِكر القلم في فاتحة السورة المسمية به يشير إلى أهميته ومنزلته، وما يزال دور القلم في العلم والتعليم في صدارة الأدوات المستخدمة في الكتابة.

12- الاقتصار في أول ما نزل على خمس آيات دليل على رأفة الله بعبادة ولطفه بهم، وتدرج في التعليم والتوجيه والدعوة إلى الخير، وتعليم للدعاة أن يراعوا أحوال المدعوين ويترفقوا بهم.

13- الانتقال من الحديث عن العلم إلى الحديث عن الطغيان يشير إلى أن من أعظم أسباب الطغيان الجهل بأصل النشأة وبالخالق العظيم.

14- حال كثير من الناس الطغيان في حال وجود المال والجاه، فهما سببان رئيسان لذلك.

15- التنفير من السلوكيات المذمومة شرعا وعقلا، كالطغيان والنهي عن الخير والتكذيب والتولي عن الخير.

16- الإعراض عن ذكر اسم الشخص السيئ المسيء إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو أبو جهل كما في رواية سبب النزول[24]، وعدم ذكر اسمه تحقيرا له ولقصد العموم ليدخل في المعنى كل من فعل مثل فعله أو قريبا منه.

24 مسلم، الجامع الصحيح، مج 8، ص 130، رقم الحديث: 7243.

17- معاملة كل امرئ بما يستحق؛ التهديد للكافر المعاند، والتوجيه إلى الخير للمقبل الراغب.

18- مقابلة التهديد والرد عليه بمثله أو بأعظم منه، بما يناسب المقام ويردع المتمادي في باطله، ومقابلة التصعيد بمثله، فإن كثيرا من الناس إذا لم يُعاملوا بمثل هذا تمادَوا وظنوا أن عدم الرد من ضعف وهوان، لا إعراضا عنهم وترفعا عن الخوض في باطلهم، فيكون الرد ضرورة لرفع الأذى وكف الإساءة.

19- تخصيص الناصية بالذكر دون سائر الأعضاء لأنها مركز التفكير والتوجيه[25].

20- من عادة الناس الاستعانة ببعضهم وأتباعهم لتأكيد موقف أو مواجهة خصم.

21- الاستخفاف بأهل الباطل والضلال حال اجتماعهم لحرب الحق والهدى، فقوتهم لا قيمة لها في مواجهة الحق الظاهر الواضح.

22- دفاع الله تعالى عن نبيه صلى الله عليه وسلم وأوليائه، فإن واجههم المشركون بالاجتماع والتنادي إلى محاربتهم وإيذائهم، فإن الزبانية وهم ملائكة كرام أولو بأس وقوة لهم بالمرصاد لرد كيدهم وإبطاله، والدفاع عن أهل الحق.

23- التوجيه إلى عدم المبالاة بتهديد المسيء، والتوجه إلى الله بالعبادة في مقابل إيذاء المعاند، وفي هذا توثيق لصلة متبع النبي صلى الله عليه وسلم مع الله، وتقليل من شأن المسيء المعاند.

25 سكر، محمد يوسف، الناصية ووظيفة الفص الجبهي للدماغ، مقال في موقع الهيئة العالمية للكتاب والسنة: eajaz.org.

24- الأمر بالسجود فيه تنبيه إلى أهمية هذه العبادة الجليلة التي يصح أن تستقل بنفسها وتؤدى منفردة تطوعا وتقربا إلى الله، أو لسبب تلاوة أو في مقابل نعمة[26]، والتي هي جزء من عبادة الصلاة، والأحاديث في فضل السجود كثيرة، منها قوله صلى الله عليه وسلم: "أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء"[27] وتوجيهه ربيعة الأسلمي الذي طلب أن يكون رفيقه في الجنة بقوله: "أعني على نفسك بكثرة السجود"[28].

25- إتباع الأمر بالسجود بالأمر بالاقتراب يفيد أن السجود يؤدي إلى الاقتراب، فمن سجد لله اقترب منه.

26- حركة السجود في ظاهرها انخفاض حيث يضع الساجد أكرم ما فيه وهو جبهته ووجهه على الأرض وفي مستوى قدميه، وفي حقيقتها ارتفاع وقرب من الله تعالى، فهي تؤدي إلى رفعة في مقابل الانخفاض والتذلل.

27- الاقتصار في الأمر على السجود فيه إشارة إلى العبادة بمعناها الواسع، واختيار السجود من بينها ليؤمر به لما له من منزلة ودرجة وخصوصية.

28- الربط بين الأوامر الثلاثة في أول السورة وآخرها، ففي أولها أمرٌ بالقراءة، وفي آخرها أمران بالسجود والاقتراب، وكأن كل أمر منها يُسلم إلى ما بعده، أي: اقرأ وتعلم كيفية العبادة لتفعلها بالسجود وغيره، لتقترب بذلك من خالقك ومولاك.

29- ورد في السورة الكريمة ألفاظ ثلاث مرات وهي: (ربك، الإنسان، أرأيت، كلا) ووردت ألفاظ مرتين وهي: (اقرأ، خلق، علّم، يعلم، ناصية)، والتكرار يناسب المبتدئ في تعلمه لتثبت المعلومةُ وترسخ.

---

26 الغليقة، صالح عبد العزيز، (2016م)، أحكام السجود في الفقه الإسلامي، الرياض، دار كنوز إشبيليا، والتعريف به في موقع الدرر السنية: Dorar.net

27 مسلم، الجامع الصحيح، مج 2، ص 49، رقم الحديث: 1111.

28 المرجع السابق، مج 2، ص 52، رقم الحديث: 1122.

30- تنقسم سورة العلق إلى مقطعين، الأول الخمس آيات الأولى وهي أول ما نزل، والثاني باقي السورة وهو مما نزل بعد الجهر بالدعوة يقينا كما يشير إلى ذلك محتوى الآيات، وعليه يمكن الجزم بإمكان حصول تفرق نزول بعض السور وأن الفاصل في النزول بين أبعاضها قد يطول ويمتد لسنوات، وأن تفرق نزول آيات أي سورة لا يؤثر في ترابط معانيها وانسجام موضوعاتها وتناسق ألفاظها، وكأنها منزلة معا، وهذا من أوجه إعجاز كلام الله سبحانه.

5. من هدايات سورة الكوثر

وتسمى سورة النحر، وهي من السور المختلف كثيرا في نزولها، والروايات المتعددة من أسباب حصول هذا الاختلاف، وقد رجح كلا من القولين عدد من العلماء المعاصرين والمتقدمين، وذكروا مرجحات لما رجحه كل منهم[29].

1- ذكر المتقابلات يعين على توضيح صورة الشيء المراد توضيحه، فإن سورة الكوثر قصدت إلى توضيح أهمية الإخلاص والتصديق والعطاء، فجاءت بعد سورة الماعون التي ذمت المنافقين والمرائين والمانعين والمكذبين، فكان ذكر الأمور الإيجابية بعد السلبية معينا على توضيح الصورة[30].

29 ابن كثير، إسماعيل بن عمر (1999م) تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي سلامة، الرياض، دار طيبة، الطبعة الأولى، مج 8، ص 498، والهرري، محمد الأمين عبد الله، (2001م)، حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، بيروت، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، مج 32، ص 374.

30 الفخر الرازي، محمد بن عمر (1999) التفسير الكبير، بيروت، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثالثة، مج 32، ص 307، والسيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (بلا تاريخ نشر) معترك الأقران في إعجاز القرآن، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، مج 1، ص 53.

2- الكرم العظيم من الله تعالى بالعطاء يُقابل بالقبول والرضى والحمد، وحين نزلت هذه السورة على النبي صلى الله عليه وسلم تبسّم[31]، وذلك لما حوته من أعطيات وبشارات عظيمة.

3- تكثير المؤكدات في الخبر المحتمل لعدم التصديق يعين على تصديقه والجزم به، وفي سورة الكوثر تم تأكيد إعطاء الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم الكوثر بعدة مؤكدات، هي: إن وضمير العظمة والفعل الماضي ووصف المعطى بالكثرة.

4- استخدام الفعل الماضي للمستقبل لتأكيد حصوله كأنه حصل فعلا.

5- استخدام فعل الإعطاء في الأشياء العظيمة، وفي الأشياء الحسية، والإيتاء في ما عداهما[32].

6- من بلاغة المتكلم استخدام لفظ يحتمل معاني عديدة لتذهب عقول السامعين مذاهب كثيرة في فهم كلامه، ويظن كل منهم أنه أدرك الصواب وفهم المراد، ولفظ (الكوثر) (وانحر) يحتملان معاني عديدة، وفي هذا إرشاد غير مباشر للدعاة أن يختاروا من الألفاظ ما يؤثر في نفوس السامعين وما يجعلهم يُعملون عقولهم في محاولة فهمه وإدراك المراد منه.

7- الإيجاز في موضعه هو الأولى، كما أن الإطناب في موضعه هو الأَولى، وقد بنيت سورة الكوثر على الإيجاز، فكان الأنسب فيها - دون غيرها – التعبير عن الأمر بالصلاة بفعل (فصلِّ) [الكوثر: 2] وليس كالمعتاد: (أقيموا الصلاة).

8- التنبيه على أهمية الإخلاص في العبادة، يشير إلى هذا قوله تعالى (لربّك) [الكوثر: 2]، أي: اجعل عبادتك خالصة له دون سواه.

31 مسلم، الجامع الصحيح، مج 2، ص 12، رقم الحديث: 921.
32 الفخر الرازي، التفسير الكبير، مج 32، ص 312.

9- دفاع الله تعالى عن نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم يدلُّ على مكانته الكبرى عند ربه، ومنزلته العظيمة عنده، فلم يترك الله سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم ليرد على افتراءات المشركين واتهامهم له بأنه أبتر، ولكنه سبحانه تولى الرد عنه، وكان الردُّ قويا مجلجلا حيث ردّ اتهامهم عليهم فهم الأبترون دونه وهو الذي بقي ذكره في العالمين وسيبقى إلى يوم الدين.

10- من كان مع الله كان الله معه، فهذا النبي الكريم حمل راية الدعوة فاتهم بالباطل فدافع الله عنه وردّ كيد أعدائه في نحورهم، وفي هذا درس عملي كبير لكل من حمل راية الدعوة وجهر بالحق وصدع به أن الله سينصره ويؤيده ويثبّته.

11- مع قصر سورة الكوثر إلا أنها حوت من المعاني الشيء الكثير، ومن ذلك أن كل آية فيها حوت بشارة بأمر من غيب المستقبل، فالبشارة بالحصول على الكوثر، والبشارة بكثرة الرزق المؤدي إلى حصول النحر، والبشارة بكسر شوكة الأعداء وبترهم، كلها حصلت أو منها ما حصل ومنها ما سيحصل يقيناً.

12- ورود الضمير المتصل في (أعطيناك) [الكوثر: 1] بدل الاسم الظاهر كالنبي أو الرسول، لدفع توهم خصوصية العطاء للنبي صلى الله عليه وسلم، أو توهم أنه في مقابل النبوة والرسالة، بل هو فضل محض، وعطاء بلا سبب، وليس خاصا بالنبي صلى الله عليه وسلم بل له ولكل من عمل مثله.

13- هي السورة الوحيدة التي خلت من حرف الميم، وهو من أكثر الحروف استعمالا في الكلام، ولا تكاد تخلو منه عبارة بمثل طول هذه السورة أو أقصر منها، وكان بعض الظرفاء يُلغز هذه المعلومة بقوله: "ما السورة التي خلت من حرف الميم يا فهيم؟".

14- الالتفات من التكلم إلى الغيبة في (لربّك) [الكوثر: 2] بدل أن يقال: لنا، لتأكيد التوحيد، وتعميق معناه في النفوس، ولدفع توهم أي معنى آخر[33].

15- هذه السورة هي أقصر السور على الإطلاق وإن وافقها في عدد الآيات سورة النصر والعصر، إلا أنهما أكثر منها في عدد الكلمات، ولكونها أقصر السور حاول الإتيان بمثلها بعض من أراد معارضة القرآن والإتيان بمثله، فأتوا بعبارات سخيفة سمجة دلت على عجزهم عن الإتيان بمثلها[34]، وباؤوا بخزي الدنيا قبل عذاب الآخرة.

6. من هدايات سورة المسد

وتسمى سورة اللهب وتبت، وهي مكية كما يدل على ذلك رواية سبب النزول الصحيحة[35].

1- من عادى هذا الدين والرسول الكريم صلى الله عليه وسلم استحق العقاب واللوم والتأنيب على فعله، فهذا أبو لهب بسبب معاداته لهذا الدين وإيذائه للرسول الكريم ينال التهديد والوعيد اللائقين به.

2- القرابة لا تغني عن المرء شيئا إن لم ينفعه عمله، فهذا أبو لهب عمّ النبي صلى الله عليه وسلم لم تنفعه قرابته ولم تغن عنه، فمحاربته للدين وللرسول الكريم استحق عليها العقاب الشديد واللوم العنيف.

3- معاملة المرء بمثل صنيعه، فمن جهر بالعداوة يُجهر له بالرد عليها، فهذا أبو لهب جهر بعداوته لرسول الله صلى الله عليه وسلم فاستحق الجهر في الردّ عليه بآيات تتلى إلى يوم الدين.

---

33 درويش، محي الدين، (1994) إعراب القرآن وبيانه، دمشق، دار اليمامة، الطبعة الرابعة، مج 10، ص 599.
34 الرافعي، مصطفى صادق، (2005م)، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، ص 134.
35 البخاري، الجامع الصحيح، مج 11، ص 559، رقم الحديث: 4770.

4- ومن معاملة المرء بمثل صنيعه أن أبا لهب قال للنبي صلى الله عليه وسلم تبا لك، فنزل في حقه: (تبّت يدا أبي لهب وتبّ) [المسد: 1] فحين نطق بالتباب ردّ التباب عليه وتُوعد به، جزاء على ما فعل.

5- جواز أن يكون الجزاء بمثل الإيذاء وأكثر، فأبو لهب قال: تبا لك، وكان الردّ عليه بدرجتين من التباب، فتبت يداه وتب هو، فكان الجزاء ضعف الفعل، فمن تجرأ على العظيم استحق العقاب العظيم.

6- تجنب النطق بأسماء الكفر، فإن اسم أبي لهب هو: عبد العزى، ولم تسمه الآية باسمه لما فيه من كفر بالتعبد لغير الله تعالى، فمن أمكنه تجنب التلفظ بأسماء الكفر والعدول عنها إلى كنية أو لقب أفضل[36].

7- جواز استخدام الكنية المشتهر بها الشخص وإن لم تكن باسم أحد أبنائه، فكنية أبي لهب لم تطلق عليه باسم أحد أبنائه.

8- من اللطيف حصول التناسب بين كنية المرء وحاله ومآله، فكنية أبي لهب موافقة للأمرين، لحاله في الدنيا حيث كانت بشرته تميل إلى الحمرة وهو لون اللهب، وموافقة لحاله في الآخرة حيث سيصلى نارا ذات لهب، فالتقى اللهبان[37].

9- اختيار الحرف الأنسب للمعنى ليكون التعبير في أعلى درجات البلاغة، ففي هذه الآيات ورد التوعد لأبي لهب بالصلي بالنار بحرف الاستقبال السين وليس سوف والسين تدل على القرب أكثر، وتناسب التوعد بالعذاب له أكثر لما في ذلك من ترهيب وتخويف وتأكيد لحصول العذاب له حتى لكأنه قريب جدا.

36 ابن عاشور، التحرير والتنوير، مج 30، ص 600.
37 المرجع السابق، مج 30، ص 601.

10- تأثر المرأة بفعل زوجها السيئ وسيرها على طريقته في السوء لا يُسقط عنها تحمل المسؤولية عن أفعالها، فامرأة أبي لهب تابعته في سوئه وشرّه، وآذت النبي صلى الله عليه وسلم كما آذاه زوجها، فتُوعدت بالعذاب كما تُوعد به زوجها، ولا يغني عنها أن تكون تابعة له في فعله.

11- لم تذكر الآية الكريمة جميع أفعال أبي لهب السيئة وذكرت أحدها فقط، إشارة إلى أنه يستحق العذاب المتوعد به وإن لم يفعل سوى هذا الأمر، فكيف إذا أضاف إليه إساءات عديدة غيره، وورد في السنة والسيرة بيان شيء من سوء أفعاله، ومن أكثرها سوءاً ما كان يفعله من ثني الناس عن الإيمان بعد أن يكلمهم الرسول صلى الله عليه وسلم ويكاد الإيمان أن يدخل قلوبهم فيأتيهم أبو لهب بعده ويخبرهم أنه عمه وأنه أعرفُ الناس به[38]، يصدهم بذلك عن ابتاعه والإيمان به، وهو فعل في غاية الإجرام والسوء.

12- من أكثر أفعال امرأته سوءاً أنها كانت تحمل الحطب وتلقيه في طريق النبي صلى الله عليه وسلم[39]، وقد تم توعدها على هذا الفعل، للتنفير منه والإقناع باستحقاقها العذاب.

13- جواز حمل اللفظ على معانيه المتعددة، الحقيقي والمجازي منها، فقد ذكر مفسرون أن امرأة ابي لهب حمالة الحطب، وتحمل هذه الصفة على الحقيقة كما ثبت في السيرة، وتُحمل على المجاز بأنها كانت تمشي بالنميمة بين الناس فكأنها تحمل الحطب وتلقيه بينهم وتوقد نار الحقد والغضب في قلوبهم، كما تحتمل الآية أنها تحمل الحطب في الآخرة

38 ابن هشام، عبد الملك (1955م)، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا ورفاقه، مصر، مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الأولى، مج 1، ص 351، و354، و371، و422، و609، و652 حيث أورد حوادث وروايات عديدة.

39 المباركفوري، صفي الرحمن (2006) الرحيق المختوم، بيروت، دار الهلال، الطبعة الأولى، ص 75.

عقوبة لها على حمله في الدنيا لإيذاء النبي صلى الله عليه وسلم فتحمله في الآخرة عقوبة لها، وهذه المعاني كلها محتملة[40].

14- ورود قراءتين في اللفظ يوسع معناه ويجعله يحتمل عدة معانٍ، وقد ورد في لفظ (حمّالة) [المسد: 4] قراءتان بالرفع والنصب، والجملة تحتمل معنيين على كل منهما، وفق التفصيل الآتي:

أ- قراءة (حمالةُ) بالرفع تحتمل إعرابين:

- أن تكون (وامرأته) معطوفة على ما قبلها، و(حمالةُ) صفة لها.

- أن تكون (وامرأته) مبتدأ، و(حمالةُ) الخبر.

ب- قراءة (حمالةَ) بالنصب تحتمل إعرابين:

- النصب بفعل محذوف تقديره أذمّ.

- النصب على الحال من (وامرأته).[41]

15- قد يؤثر اختلاف القراءتين على موضع الوقف، كما يؤثر فيه اختلاف وجه الإعراب، فعلى قراءة الرفع والإعراب بالعطف لا وقف على (ذات لهب) [المسد: 3]، وعلى الإعراب بالابتداء يوقف على (ذات لهب)، وعلى قراءة النصب والإعراب بفعل محذوف يوقف على (وامرأته)، وعلى الإعراب بالنصب على الحال لا يوقف على (وامرأته)[42].

---

40 الآلوسي، محمود بن عبد الله، (1994) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، مج 15، ص 500.

41 مكي بن أبي طالب، (2008م) الهداية إلى بلوغ النهاية، الشارقة، جامعة الشارقة، الطبعة الأولى، مج 12، ص 8487، والسمين الحلبي، الدر المصون، مج 11، ص 145.

42 الأشموني، عبد الكريم (1973م)، منار الهدى في الوقف والابتدا، القاهرة، مصطفى البابي الحلبي، ص169.

16- جواز التهكم بمن يحارب الدين ويؤذي النبي الكريم، فامرأة أبي لهب حاربت الإسلام والنبي الكريم صلى الله عليه وسلم، فتوعدتها الآيات الكريمة، ووصفتها بأن في جيدها حبل من مسد وذكر الجيد عادة يكون في مقام المدح والثناء، وروده في الآية في مقام التوعد تهكم بها.

17- إيثار استخدام اللفظ الأنسب لما حوله عن اللفظ الأوضح معنى، فمعنى المسد هو الليف، ولكنه ورد في الآية دون اللفظ الأوضح في الدلالة لحكم عديدة، منها مناسبة لفواصل السورة أكثر، وما فيه من قلقلة حرف الدال وقفا بما يقوي التهديد في السورة، ويظهر ما فيها من وعيد بشكل ظاهر. وحول هذا اللفظ يُحكى أن أحد الحفظة زعم أنه متقن لحفظه ولا يخطئ فيه، فطلب منه بعض من سمع كلامه أن يقرأ المصحف كاملا، وبدأ وواصل القراءة بدون أخطاء حتى وصل إلى آخر هذه السورة فقال: (في جيدها حبل من [ليف، بدلا من] مسد) فأخطأ في أحد أسهل المواضع وآخرها، مع أن لفظ ليف لا يناسب الفواصل حوله، وإن صح معناه، ولفظ مسد هو أحد أسماء السورة، ومن المستبعد حصول الخطأ فيه، وتورد هذه القصة لأخذ العبرة منها: أن القرآن غالب لا مغلوب.

19- ذُكرت امرأة أبي لهب بإضافتها إلى ضميره، ولم تذكر باسمها أو صفتها أو كنيتها، وفي هذا تحقير لها، فهي تابعة له في الكفر وفي السلوك، ولا يليق هذا الأمر بأهل العقل والمنطق الصحيح، فلما كانت تابعة له عرّفت به، وأُهمل اسمها، وهي أروى بنت حرب، أخت أبي سفيان، وكنيتها أم جميل[43].

43 الألوسي، روح المعاني، مج 15، ص 499.

20- ورد في لفظ (وامرأته) قراءتان شاذتان هما: ومُرَيْئَتُهُ، ومُرَيَّتُه[44]، وذلك على التصغير، تحقيرا واستصغارا لها، وهي حرية بهذا الاحتقار لما كانت تقوم به من سيئ الفعل والقول.

21- ذكر المرء بما فيه من سوء وقبح لا يُعد هجاءً له، يؤخذ ذلك من قول أبي بكر رضي الله عنه لامرأة أبي لهب حين قدمت بعد نزول هذه السورة تريد الثأر لنفسها من النبي صلى الله عليه وسلم، وكان معه أبو بكر رضي الله عنه بجوار الكعبة، ولم تر النبي صلى الله عليه وسلم، وتحدثت مع أبي بكر قائلة له: إن صاحبك قد هجاني، فقال لها: لم يهجك، فهذا القول من أبي بكر رضي الله عنه يُحمل على أحد معنيين، الأول: أن ذكر المرء بما هو فيه حقاً من سوء وشرٍّ لا يعد هجاء له بل هو وصف له، والمعنى الثاني: أن هذا الكلام في هجائه قائله ليس النبي صلى الله عليه وسلم فلا يُنسب إليه فهو كلام الله تعالى، والرسول ناقل ومبلغ له، فليس قائلَه ولا يُنسب إليه.

22- تضمنت هذه السورة إعلام أبي لهب وامرأته أنهما من أهل النار وهما ما يزالان على قيد الحياة، وفي هذا دليل باهر على أنه كلام الله علام الغيوب، فإنه لو آمن أبو لهب أو امرأته لنقض ما في هذه السورة، ولأثار ذلك تشويشا وشبهات على كلام الله، ولكنه كلام العليم الخبير[45].

7. الخاتمة

هذه مجموعة من الهدايات المباركة في خمس سور من جزء عمّ، تبيّن لنا من خلالها المقدار الكبير من الهدايات في هذا الكتاب الكريم، وأنه كتاب الهداية الكبرى، الذي أنزله الله ليخرج الخلق من الظلمات إلى النور، والهداية هي المهمة الأساسية له، وإن السير على وفق

44 أبو حيان، البحر المحيط، مج 8، ص 525، وابن عادل، عمر بن علي (1998م)، اللباب في علوم الكتاب، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود ورفيقه، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، مج 20، ص 554.

45 السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، (2000م)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ص 936.

ما فيه من هدايات مصدر عز ورفعة لأمة الإسلام، وفي جزء عمّ تحديداً من هذا الكتاب الكريم كمّ كبير من الهدايات، وهذا أحد أسباب اختيار سور من هذا الجزء لاستخراج هدايات منها، وأنا على يقين بأني لم أستوعب جميع الهدايات في هذه السور، فما يزال فيها الكثير مما يمكن استخراجه واستنباطه والوصول إليه، ومن فوائد مثل هذه اللقاءات حصول التكامل بين الباحثين والمفكرين لتكتمل الصورة أو تقترب من الكمال، وفي هذه الهدايات الكثيرة فوائد عظيمة لمن أراد خير الدارين، نسأل الله أن يوفقنا للمزيد من الوصول إلى هدايات كتابه العزيز، والعمل بها، والارتقاء والرفعة من خلالها إلى الموقع المناسب بأمة الإسلام في الدنيا، وأعلى الدرجات في جنات النعيم في الآخرة، إنه سبحانه ذو الفضل العظيم.

المصادر والمراجع:

REFERENCES:

Abū Dawud Sulaimān bin al-Asy'ath al-Sajaztānī. (2009). Al-Sunan, Taḥqīq: Syu'aib al-Arnaūṭ wa Rafiqah, Muassasah al-Risālah, Ed.1.

Abū Ḥayān Muḥammad bin Yūsuf al-Andalusī. (1999). Al-Baḥr al-Muhīṭ fī al-Tafsīr, Taḥqīq: Sadaqī Jamīl, Beirūt, Dār al-Fikr.

Abū Hazīm, Aḥmad Farīd, wa Syukrī, Aḥmad. (2018). Tafsīr Sūrah al-Fātihah wa Juz'u 'Amma, 'Ammān, Jam'iyyah al-Muhāfaẓah 'alā al-Qur'ān al-Karīm, Ed.1.

Aḥmad bin Ḥanbal al-Syaibānī. (2001). Al-Musnad, Taḥqīq: Syu'aib al-Arnaūṭ wa Rifāqah, Muassasah al-Risālah, Ed.1.

Al-Ālūsī, Maḥmūd bin 'Abd Allāh. (1994). Rūh al-Ma'ānī fī Tafsīr al-Qur'ān al-'Aẓīm wa al-Sab'u al-Mathānī, Beirūt, Dār al-Kutub al-'Ilmiyyah, Ed.1.

Al-Asymūnī, 'Abd al-Karīm. (1973). Manār al-Hudā fī al-Waqf wa Al-Ibtida', al-Qaherah, Musṭafā al-Bābī al-Ḥalbī, Ed.2.

Al-Baghwī, Al-Ḥusīn bin Masūd. (1997). Ma'ālim al-Tanzīl, Taḥqīq: Muḥammad 'Abd Allāh an-Namr wa Rifāqah, Al-Riyadh, Dār Ṭayyibah, Ed.1.

Al-Bukhārī, Muḥammad bin Ismāīl. (2001). Al-Jāmi' al-Ṣahīh, Beirūt, Dār Ṭūq al-Najāh, Ed.1.

Al-Fakhr al-Rāzī, Muḥammad bin ʻUmar. (1999). Al-Tafsīr al-Kabīr, Beirūt, Dār Ihyā' al-Turath al-ʻArabī. Ed.3.

Al-Ghalīqah, Ṣaliḥ bin ʻAbd al-ʻAzīz. (2016). Aḥkām al-Sujūd fī al-Fiqh al-Islāmī, al-Riyadh, Dār Kunūz Isybiliyyan.

Al-Hararī, Muḥammad al-Amin bin ʻAbd Allāh. (2001). Ḥadāiq al-Rūh wa al-Raihān fī Rawābī ʻUlūm al-Qur'ān, Beirūt, Dār Ṭūq al-Najāh, Ed.1.

Al-Māwardī, ʻAlī bin Muḥammad (d.n). Al-Nakat wa al-ʻUyūn, Taḥqīq: Al-Sayyid bin ʻAbd al-Maqsūd, Beirūt, Dār al-Kutub al-ʻIlmiyyah.

Al-Mubārakfūrī, Ṣafiy al-Raḥman. (2006). Al-Raḥīq al-Makhtūm, Beirūt, Dār al-Hilāl, Ed.1.

Al-Mutanabbī, Abū al-Tayyib Aḥmad bin al-Ḥusīn. (1983). Dīwān al-Mutanabbī, Beirūt, Dār Beirūt, Ed.1.

Al-Nisābūrī, al-Ḥasan bin Muhammad. (1995). Gharāib al-Qur'ān wa Raghāib al-Furqān, Taḥqīq: Zakariā ʻAmīrāt, Beirūt, Dār al-Kutub al-ʻIlmiyyah. Ed.1.

Al-Qurṭubī, Muḥammad bin Aḥmad. (1964). Al-Jāmi' li Aḥkām al-Qur'ān, Taḥqīq: Aḥmad al-Burdūnī wa Rifāqah, al-Qāherah, Dār al-Kutub al-Misyriyyah, Ed.1.

Al-Rāfi'ī, Muṣṭafā Ṣādiq. (2005). I'jāz al-Qur'ān wa al-Balāghah al-Nabawiyyah, Dār al-Kitāb al-ʻArabī.

Al-Sa'dī, ʻAbd al-Raḥman bin Nāṣir. (2000). Taisīr al-Karīm al-Raḥman fī Tafsīr Kalām al-Manān, Taḥqīq: ʻAbd al-Raḥman al-Luwaihaq, Muassasah al-Risālah, Ed.1.

Al-Samīn al-Ḥalbī, Aḥmad bin Yūsuf. (1988). Al-Dār al-Maṣūn fī ʻUlūm al-Kitāb al-Maknūn, Taḥqiq: Ahmad Muḥammad al-Kharāṭ, Damsyik, Dār al-Qalam, Ed.1.

Al-Suyūṭī, ʻAbd al-Raḥman bin Abī Bakar (d.n) Mu'tarak al-Aqrān fī I'jāz Al-Qur'ān, Beirūt, Dār al-Kutub al-ʻIlmiyyah, Ed.1.

Al-Syaukānī, Muḥammad bin ʻAlī. (1994). Fatḥ al-Qadīr al-Jāmi' baina Fanī al-Riwāyah wa al-Dirāyah fī ʻIlm al-Tafsīr, Damsyik, Dār Ibnu Kathīr, Ed.2.

Al-Wāhidī, ʻAlī bin Aḥmad. (1992). Asbāb al-Nuzūl, Taḥqīq: ʻIṣām al-Ḥamīdān, al-Dimām, Dār al-Iṣlāh, Ed.2.

Al-Zamakhsyarī, Maḥmūd bin ʻUmar. (1987). Al-Kasyāf ʻan Haqāiq al-Taʼwīl wa ʻUyūn al-Aqāwīl fī Wujuh al-Tanzīl, Beirūt, Dār al-Kitāb al-ʻArabī, Ed.2.

Darwish, Mahyi al-Dīn, Iʼrāb al-Qurʼān wa Bayānuhu. (1994). Damsyik, Dār al-Yamāmah, Ed.4.

Hijāzī, Muḥammad Maḥmūd. (1993). Al-Tafsīr al-Wāḍih, Beirūt, Dār al-Jil al-Jadīd, Ed.10.

Ibnu ʻĀdil al-Damsyikī, ʻUmar bin ʻAlī. (1998). Al-Bāb fī ʻUlūm al-Kitāb, Taḥqīq: ʻĀdil Aḥmad ʻAbd Al-Mawjūd wa Rafīqah, Dār al-Kutub al-ʻIlmiyyah, Ed.1.

Ibnu ʻĀsyūr, Muḥammad al-Ṭāhir. (1984). Al-Taḥrīr wa al-Tanwīr, Tūnis, al-Dār al-Tūnisiyyah li Nasyr, Ed.1.

Ibnu ʻAṭiyyah, ʻAbd al-Ḥaq bin Ghālib. (2001). Al-Muharrar al-Wajīz fī Tafsīr al-Kitāb al-ʻAzīz, Taḥqīq: ʻAbd al-Salām Muhammad, Dār al-Kutub al-ʻIlmiyyah, Ed.1.

Ibnu al-Jūzī, ʻAbd al-Raḥman bin ʻAlī. (1984). Zād al-Masīr fī ʻīlm al-Tafsīr, al-Maktab al-Islāmī, Ed.4.

Ibnu Ḥajar al-ʻAsqalānī, Aḥmad bin ʻAlī. (1992). Al-ʻIṣābah fī Tamyyiz al-Sahābah, Taḥqīq: ʻAlī al-Bajāwī, Beirūt, Dār al-Jīl, Ed.1.

Ibnu Hisyām, ʻAbd al-Malik. (1900). Al-Sīrah al-Nabawiyyah, Taḥqīq: Muṣṭafā al-Saqā wa Rifāqah, al-Qāherah, Muṣṭafā al-Bābī al-Halbī, Ed.1.

Ibnu Juzī al-Kalbī, Muḥammad bin Aḥmad (1995), al-Tashīl li ʻUlūm al-Tanzīl, Taḥqīq: ʻAbd Allāh al-Khālidī, Beirūt, Dār al-Arqam.

Ibnu Kathīr, Ismāʼīl bin ʻUmar. (1999). Tafsīr al-Qurʼān al-ʻĀẓīm, Taḥqīq: Sāmī Salāmah, ar-Riyadh, Dār Ṭayyibah, Ed.1.

Makī bin Abī Ṭālib al-Qīsī. (2008). Al-Hidāyah ilā Bulūgh al-Nihāyah, Taḥqīq Farīq bi Isyrāf: Al-Syāhid al-Būsyīkhī, al-Sarjah, University of Sharjah, Ed.1.

Muslim bin al-Ḥujāj al-Nīsābūrī. (d.n). Al-Jāmiʼ al-Ṣaḥīh, Beirūt, Dār al-Jīl.

Naufal, Aḥmad wa Rifāqah. (2006). Al-Tafsīr al-Manhajī. ʻAmmān, Dār al-Manhal. Ed.1.

Quṭb, Sayyid. (1972). Fī Ẓilāl al-Qurʼān, Beirūt, Dār al-Syurūq, Ed.1.

Sakr, Muḥammad Yūsuf, al-Nāṣiah wa Waẓifah al-Faṣ al-Jubhī li Dimāgh, Mauqi' al-Hai'ah al-'Ālamiyyah li Kitāb wa al-Sunnah, Jeddah: Eajaz.org.

Syukrī, Aḥmad. (2015). Ādāb Ahl al-Qur'ān ma'a al-Qur'ān wa Ahluhu, 'Ammān, Jam'iyyah al-Muhāfaẓah 'alā al-Qur'ān al-Karīm, Ed.4.

Ṭanṭāwī, Muḥammad Sayyid. (1997). Al-Tafsīr al-Wasīṭ, al-Qāherah, Dār Nahḍah Mesir, Ed.1.